٣٥- باب ما جاء في الرياء

وَقَوْلِ اللهِ - تَعَالَى - : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ...﴾ [الكهف:١١٠] الآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**قَالَ اللهُ - تَعَالَى -: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(٢). رَوَاهُ أَحْمَدُ.

○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٨٥).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وأحمد (١١٢٥٢)، وحسنه الألباني.

٣٦- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ...﴾ [هود: ١٥] الآيَتَيْنِ.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

ооо

الشرح:

ذكر المؤلفُ رَحِمَهُٱللَّهُ في هذين البابين آيتين، وثلاثة أحاديث.

والكلام على هذين البابين في الفصلين التاليين.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٨٧).

الفصل الأول: مقصود البابين، وموضوعهما العام

بيان أن التوحيد قائم على الإخلاص لله رب العالمين، والحذر مما يقدح في الإخلاص، ومن ذلك الرياء، وإرادة الدنيا بالعمل الصالح، وهما صورتان من صور الشِّرك في النية، وهذا هو البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، نسأل الله السلامة.

* * *

الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

المبحث الأول: الإخلاص. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه:

الإخلاص لُغة: مصدر أخلَص يخلِص وهو مأخوذ من مادة «خ ل ص» التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه[1]. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، أي: يتخلَّص اللبن - بياضه وطعمه - من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فيسري كلٌّ إلى موطنه، إذا نضج الغذاء في معدته تصرف منه دم إلى العروق، ولبن إلى الضرع، وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، فيخرج اللبن نقيا مهذبا عما يشوبه.

وسميت سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص؛ لأنَّها خالصة في صفة الله - تعالى وتقدَّس -، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله - عز وجل -.

والإخلاص في الاصطلاح: أن يَقصِد اللهَ - تعالى - بالعمل دون شوب إرادة غيره.

---

(١) ينظر مادة «خلص» في: «تهذيب اللغة» (٧/ ٦٥)، و«لسان العرب» (٧/ ٢٦).

فيريد بعمله وجهَ الله والدارَ الآخرة، صافيا من شوائب إرادات النفس.

ويظهر الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ بأن تنقَّى النية والقصد وتُهَذَّب وتُصَفَّى من كل الشوائب المكدرة، وتكون خالصة لله - تعالى -.

الفرق بين النية والإخلاص:

النية أعم، فقد تكون لله - تعالى - فتكون إخلاصا، وقد تكون لغير الله - تعالى -، وقد تكون شركا بين الله - تعالى - وبين غيره.

المطلب الثاني: منزلته، وحكمه:

الإخلاص هو حقيقة الدين، وشرط قبول العمل، ومضمون دعوة المرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[الزمر: ٣]، وقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[الزمر:١١-١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾[النساء: ١٢٥]، وقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الملك: ٢]، قال الفُضَيل: أي أخلصه وأصوبه[1].

وأما الأحاديث فكثيرة؛ منها:

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١)، وهذا حديث عظيم يدخل في عامة أبواب الدِّين؛ ولهذا صدَّر به الإمام البخاري كتابه الصحيح، وصدَّر به الإمامُ النَّووي الأربعين النووية.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»(٣).

وهناك أحاديث أخرى ستأتي - إن شاء الله - في المبحث الثاني، فلا حاجة إلى تكرارها.

الإخلاص هو ما ترتعد له فرائص المؤمنين، وتضطرب له قلوب العارفين؛ لأن مدار قَبول الأعمال عند الله على هذا الأمر؛ ولهذا اشتدت عناية الصالحين من السلف والخلف بهذا الأمر، واجتهدوا في تعلُّمه وتحقيقه.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٨٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٩)، وأحمد (٩٠٩٠)، وصححه الألباني. وله شاهد عند مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٨٧٨)، وآخر - عند مسلم أيضا - من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢٨٨٤).

والإخلاص أحد أعمال القلب، وهو فرض واجب على كل مسلم ومسلمة، ومن العلم الواجب تعلُّمه على كل مكلف، بل هو من شريف العلم وعزيزه.

قال ابن أبي جمرة: «ودِدت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يُعَلِّم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا؛ فإنه ما أتي على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك»[1].

قال يحي بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل»[2].

وهذا من فائدة العلم، فإن العالم يبلغ منازل رفيعة بنيته، وتتحول عاداتُه إلى عبادات؛ لأنه فقيه يعرف كيف يستثمر النية في زيادة أعماله وأجوره.

مسألة: هل الإخلاص شرط لصحة العمل أم شرط لحصول الثواب؟

الفرق بين القولين: أنه إذا قلنا إن الإخلاص شرط لصحة العمل؛ فالعمل بغير إخلاص باطل وحابط كأن لم يكن، فلو صلى بلا إخلاص فكأنه لم يصلِّ، عليه أن يعيد، لكن إذا قلنا إنه شرط لحصول الثواب، فالعمل صحيح، لكن لا يثاب عليه فلا يؤمر بالإعادة.

ولا ريب أنَّ الإخلاص شرط صحة؛ فمن أَخَلَّ بالإخلاص في عبادته فهي باطلة غير معتد بها.

---

(١) «المدخل» لابن الحاج (١/ ٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٧٠).

المطلب الثالث: عناية السلف به:

تبوَّأ الإخلاص منزلةً عظيمة عند السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فكانت لهم كلمات وأحوال عظيمة جدًّا في بيان منزلة هذا الأمر، وتعظيمه في قلوبهم. وإليك طرفا من ذلك:

قال بعض السلف: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته[1].

وقال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئا أشد عليَّ من نيتي؛ لأنها تتقلب علي»[2].

وقال يوسف بن الحسين: «أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر»[3].

وهذا يشير إلى أن موضوع الإخلاص يحتاج إلى مجاهدة؛ لأن النِّية تتقلب، وحظوظ النَّفس كثيرة جدا، فإذا سدَّ الإنسان على نفسه بابا، فما يشعر إلا وقد انفتح له باب آخر، فإذا سده ودافعه؛ انفتح ثالث، وهكذا، فالنفس في جهاد عظيم.

وقال الربيع بن خثيم: «كل ما لا يراد به وجه الله يَضْمَحِل»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٢٧٦)، بنحوه، من كلام سلمة بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٥ و٦٢)، بنحوه.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٥).

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٧٧).

وقال أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء»[١].

وقال يحيي بن أبي كثير : «تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل»[٢].

وحدَّث يزيدُ بن هارونَ بحديثِ عمر: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[٣]، وأحمدُ بن حنبل جالسٌ ، فقال أحمد ليزيدَ: يا أبا خالدٍ؛ هذا الخناقُ[٤].

وقال مكحول: «ما أخلص عبدٌ قَطُّ أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه»[٥].

وقال الشافعي: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم - يقصد علمَه - على أن لا ينسب إليَّ حرف منه»[١]!.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا، يثقله ولا ينفعه»[٢].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٧٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٦٤).

(٥) «الزهد والرقائق» لابن المبارك (١٠١٤).

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١١٨).

(٢) «الفوائد» ص ٤٩.

المطلب الرابع: الأسباب المعينة على تحصيله:

أولا: الدعاء:

فالدعاء من أعظم الأسباب لتحصيل الخيرات، ولا سيما بالوارد منه، كما قال ﷺ لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**». قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[1].

الثاني: طلب العلم الشرعي:

طلب العلم الشرعي مُعِينٌ على تحقيق الإخلاص؛ لأن الإنسان إذا نوَّر الله قلبه وبصيرته بالعلم عرف المسالك، وعرف المداخل التي تقدح في الإخلاص، وصار عنده تمييز وبصيرة في الحكم على هذا الأعمال.

قال سهل بن عبد الله: «لا يعرف الرياء إلا مخلص، ولا يعرف النفاق إلا مؤمن، ولا يعرف الجهل إلا عالم»[1].

وقال يونس بن عُبَيد: «لا يزال العبدُ بخير ما علِمَ الذي يُفسِدُ عليه عملَه»[2].

الثالث: مجاهدة النفس:

الرِّياء فيه أنواعٌ من حظوظ النَّفس؛ حب الجاه والمنزلة، حب المدح والثناء، أو أن يريد الإنسان بعمله الدُّنيا، هذا مما طبعت عليه النَّفس؛ فالنَّفس البشرية

---

(١) تقدم تخريجه.

(١) «شعب الإيمان» (٦٤٨٠).

(٢) «الزهد والرقائق» لابن المبارك (١٥٠٠).

تميل إلى الحظوة عند النَّاس، وتميل - أيضا - إلى حظوظ الدنيا من المال، أو المنصب، أو نحو ذلك، فدَفْع هذه الأشياء، التي هي من شهوات النَّفس وحظوظها، يحتاج إلى مجاهدة.

قال سفيان بن عيينة: «قال رجل من العلماء: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة، ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله - عز وجل -»[1].

وقال يوسف بن الحسين: «أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر»[2].

وقال بعضُهم: «ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص»[1].

الرابع: استحضار الأثر المترتب على تحقيق الإخلاص أو الإخلال به:

كيف يكون الأمر إذا تقبل الله العمل، وضاعف ثوابه، وجزى عليه الجزاء الأوفى في الآخرة.

وفي المقابل: أي خسارة تنجم عن حبوط العمل، والإثم على الرِّياء، وكون الإنسان يجهد في أعمال صالحة لا يستفيد منها إلا التعب والنصب، وعمله يذهب هباء منثورا.

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧١).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٤).

(١) سبق بنحوه عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذه آثار عظيمة متى استحضرها المسلم وتأملها، حملته على الاجتهاد غاية الاجتهاد في الإخلاص، والسلامة مما يكدره.

الخامس: تقوية مقام تعظيم الله والخوف منه، في القلب:

فهذا باعث عظيم على إخلاص العمل لله - تعالى -.

السادس: معرفة حقيقة الناس، وحقارة الدنيا:

لو تأمَّل المرائي حقيقة النَّاس، لكفَّه ذلك عن فعله.

فمن هذا الذي ترائي له؟!

إنه مخلوق ضعيف مسكين، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًّا، فضلا عن أن يملك هذا لغيره.

أصله نطفة مذِرَة، ومآله جيفَةٌ قذرة، وهو فيما بينهما يحمل العذِرة.

فمن كان هذا حاله، أيصح أن تؤدي لأجله عبادة؟!.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو جهدت كل الجهد على أن تُرضي الناسَ كلَّهم فلا سبيل له، فإذا كان عليك فأخلص عملك ونيتك لله - عز وجل -»[1].

○○○

(١) «شعب الإيمان» (٦٥١٨).

المبحث الثاني: الرياء والسمعة[1]. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معناه، وأسماؤه:

الرياء مشتق من الرؤية. وهو مصدر راءى يرائي مراءاة[2].

وهو: إظهار العبادة لأجل أن يراه الناس فيحمدوه عليها.

والسُّمعة أن يتحدث بالعمل لأجل الناس.

فمثلا: طالب في المدرسة يصلِّي في المصلَّى، فنظر فإذا مُعَلِّمُ الدِّين بجواره، فصار يتأنَّى ويخشع ويطيل في صلاته؛ لأجل أن يراه هذا المُعَلِّم، ولولا المعلم ما صلَّى هذه الصلاة، فهذا يسمى رياء.

مثال آخر: رجل يتحدث في المجلس عن صدقاته، وأعماله الخيرية؛ لأجل أن يُمدَح ويتحدَّث الناس عنه، فهذا يسمى تسميعا.

فالرياء متعلِّق بحاسة البصر، والتسميع بحاسة السمع.

عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**»[1].

---

(١) ينظر: «الشرك الأصغر» للسليم ص٨٣-٨٨، «الإخلاص» للأحمدي (١/ ٣٢٢- ٣٣٢).

(٢) ينظر: «تاج العروس» (٣٨/ ١٠٥).

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

والرياء من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[النساء: ١٤٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [النساء: ٣٨].

أسماء الرياء:

الأول: الشرك الأصغر:

عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ. يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[1].

الثاني: الشرك الخفي:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ**

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦٤١٢)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩١٥).

الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(١).

الثالث: شرك السرائر:

عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**»(٢).

فالرياءُ شِرك أصغر خفي. وسبق في أوائل الشرح أن الشرك قسمان: أكبر وأصغر، وكل منهما قد يكون جليًّا، وقد يكون خفيًّا.

فالرياء شرك خفي في السِّرِّ؛ و«خَفِي» وصف و«السِّرِّ» ظرف له.

ومن النوادر التي ذكرها بعض أهل العلم أن رجلا كان يصلِّي في المسجد، فلما كبَّر وشرع في الفاتحة سمع خلفَه خشخشة، فاعتقد أنه إنسان ينظر إليه، فبدأ يتأنى ويطيل في صلاته، فلما سلَّم والتفت، فإذا هي قطة!.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **حسن**: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٧٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

المطلب الثاني: النصوص الواردة فيه:

الحديث الأول: عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[1].

ومن فوائد هذا الحديث:

١- النص النبوي على تسمية الشرك الأصغر، وأنه الرِّياء.

٢- أن الصحابة لم يكونوا يعرفون الشرك الأصغر، كما يدلُّ عليه قولهم: «وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، فبُيِّنَ لهم.

٣- أهمية العلم والتعليم في ما يخصُّ أمر الشِّرك والتَّوحيد؛ فالنَّبي ﷺ اعتنى بهذا الأمر وعلَّمه أصحابه، وهكذا نحن ينبغي أن نتأسى به، فنحيي هذا العلم بين النَّاس.

٤- عِظَم خطر الرِّياء. وتأمل قوله ﷺ «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ**»، فليس أمرا مَخُوفا فحسب، بل هو أخوف مَخُوف!، والخوف على من؟ «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ**»، والمخاطب هم الصحابة، فكيف بنا نحن؟!.

---

(١) تقدم تخريجه.

الأمر في غاية الخطورة؛ فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين هم أبَرُّ الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأفضلها منزلة وإيمانا، فكيف بمن يأتي بعدهم؟!. لا شك أن الخوف أعظم وأشدُّ.

وهذا يؤدِّي إلى فائدة مسلكية لنا، أن يكون هذا الأمر مَخُوفا في القلوب، يستشعر المرء عظمة الأمر ويستصحبه معه؛ فالإنسان لا يأمن على نفسه مهما بلغ، فليكُنِ المرء على خوف ووَجَل أن يُداخِلَه شيء من الرِّياء، لا سيما ومداخِلُه خفية، وأبوابه كثيرة، ودواعيه قوية.

فالأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس، واستعانة بالله – تعالى –. وكما قيل:

إذا لم يكُن عَوْنٌ مِن اللهِ للفَتى فأوَّلُ ما يجْني عليه اجتهادُه

٥- عِظَم خسارة المرائين! فلا إله إلا الله، ما أعظم حسرتَهم! وما أشَدَّ خسارتَهم!.

أتعبوا أنفسهم بالعمل الصالح: صلاة، وصدقات، وحَجًّا، وقراءة، وذِكْرًا، وجهادا، وأمرا بالمعروفِ، ونهيا عن المنكر، وطلب علم، ودعوة ... ، أعمال عظيمة وعبادات أخذت وقتا وجُهدا، لكن كانت المقاصدُ مدخولة؛ فالمآل والجزاء الحسرة والندامة، يقال لهم: «**اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا؛ فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»، فيذهبون إليهم فما يجدون شيئا، بل يجدون الخيبة والحسرة والندامة، نسأل الله العافية والسلامة.

الحديث الثاني: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**». قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(١).

وهذا الحديث فيه فوائد منها:

١- تأكيد عِظَم خطر الرِّياء، فإذا كان النَّبي ﷺ يخاف على أمته الرِّياء أشد من خوفه من المسيح الدجال!، والمسيح الدجال فتنة من أعظم الفتن، قال عنه رسول الله ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ**»(١). وشُرِع لنا في كل صلاة فريضة ونافلة أن نتعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال(٢).

وجاء فيه أحاديث كثيرة جدًّا، وفيها أن الله أعطاه خوارق للعادات، وأنَّ معه جنة وناراً(٣) ... إلخ، ومع ذلك فخَوْفُ النَّبي ﷺ على أمته من الرِّياء أشد من خوفه من المسيح الدجال!.

---

(١) تقدم تخريجه.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٠٨) ومواضع أخرى، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٣) ينظر: صحيح مسلم (٢٩٣٧).

هذا الأمر يوجِبُ لقلب المؤمن أن يرتعد ويضطرب؛ خوفا من الوقوع في شيءٍ من أبواب الرِّياء ومداخلِه.

٢- أن الرِّياء قد يكون في وصفِ العبادة لا في أصلها.

والرياء في أصلها: أن يقوم الإنسان يصلي رياء؛ لأجل فلان، ولأجل أن يراه النَّاس فيحمدوه، هذا رياء في أصل العبادة.

أمَّا الرياء في وصف العبادة؛ فهو كما جاء في الحديث: «**أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»، فهو صلَّى لله، لكنه زيَّن الصلاة طوَّلها حسنها؛ لأجل فلان، لولا فلان لكانت صلاته مختلفة، لكنها تغيرت، كان يسبح في الركوع مرتين فصار يسبح ست أو سبع مرات.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**قَالَ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

هذا حديث قدسي عظيم يؤكد أصل الدين وقاعدته، وهي توحيد الله - عزَّ وجلَّ -، فكما أن الله لا يقبل دينا غير الإسلام؛ فكذلك لا يقبل عملا إلا ما كان خالصا.

---

(١) تقدم تخريجه.

وأفاد الحديث أن العمل الذي خالطه الرِّياء يُسمى شركا، كما يدلُّ عليه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، وهذا من الشرك الأصغر، كما دل عليه الحديث السابق.

الحديث الرابع: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٠٥).

فهؤلاء الثلاثة أوَّلُ من تسعَّر بهم النار يوم القيامة، مع أنهم فعلوا عبادات من أعظم وأفضل العبادات، الجهاد في سبيل الله، وطلب العلم، والإنفاق في سبيل الله!.

فالذي كان مُصِرًّا في الدنيا على شرب الخمور والزِّنا، هذا أمره أخف من هذا الذي يتعبد رياء، هؤلاء الثلاثة يُقَدَّمون على الزُّناة، وعلى أصحاب الكبائر والمنكرات والفواحش، مما يدل على أن جُرمهم أعظم وأشد؛ فهم، وإن كانوا فعلوا عبادات في الظاهر، لكن كانت نيَّاتُهم مدخولة وإخلاصهم مقدوحا؛ فالذي جاهد؛ ليقال: جرئ!، والذي أنفق؛ ليقال: جواد!، والذي طلب العلم وقرأ القرآن؛ ليقال: قارئ! فقد قيل، قيل هذا في الدنيا وانتهى، أما الآن ليس لك شيء، فيُؤمر به فيُزج في نار جهنم، نسال الله العافية والسلامة. وهذا الحديث من أحاديث الوعيد الشديدة.

الحديث الخامس: عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**»(١).

تكلَّم أهل العلم في معنى هذا الحديث على أقوال متعددة، لعلَّ أقربها أنَّ معناه: فضحه الله في الآخرة.

---

(١) تقدم تخريجه.

فمن كان يُسمِّع بعمله الصالح في الدنيا، أي: يتحدث عن أعماله لأجل النَّاس؛ يُسمِّع الله به، يعني أن الله يفضحه في الآخرة على رؤوس الأشهاد، نسأل الله العافية والسلامة. وهكذا من كان يرائي في الدنيا يفضحه الله يوم القيامة.

الحديث السادس: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**». فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

وقوله: «يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ»: أي: يريد الأجر ويريد أن يُذكر، بأن يُقال: فلان كذا، وفلان كذا، فهو أراد الأمرين.

الحديث السابع (وهو خاص بطلب العلم): حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ**»(١).

هذه سبعة أحاديث وهناك غيرها، لكن فيها كفاية وعِظة.

---

(١) **حسن**: أخرجه النسائي في «الصغرى» (٣١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٢٨)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٢).

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٥٤) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٣)، وحسنه الألباني.

المطلب الثالث: صور الرياء، وأثرها على العمل:

هذا المطلب هو الثمرة العمَلية من الباب، وكلام بعض أهل العلم فيه منثور ومتداخل؛ لذا كان من المهم لطالب العلم أن يعتني بفهمه وضبطه. ولعلي أجمع أطراف المسألة، وألخصها، فأقول مستعينا بالله:

الرياء له ثلاث صور:

الصورة الأولى: الرياء في أصل الإيمان:

وهذا رياء النفاق، بأن يبطِن الكُفر ويظهر للناس أنه مؤمن. وهذا النوع كفر أكبر.

الصورة الثانية: الرياء في أصل العبادة. وهو نوعان:

الأول: الرياء المحض:

وصورته: أن يكون الباعث له على العبادة رياءَ الناس. فيقوم يصلي ليراه فلان، أو يتصدق ليقولوا عنه: باذل ومحسن.

وهذا لا خلاف في حرمته، والإثم على فعلِه، وحبوط العمل به.

مسألة: ما الحكم إذا طرأ عليه الإخلاص بعد الشروع في العبادة؟

ومثالُه: مَن صلى رياء، وبعد أن صلَّى ركعة أنَّبَه ضميره وتاب وجعل نيته لله.

الجواب: هذا يختلف بحسب العبادة:

فإذا كانت العبادة مما يرتبط أولها بآخرها؛ كالصلاة: فلا يصح، بل عليه أن يعيد العبادة من أولها.

وإذا كانت العبادة مما لا يرتبط أولها بآخرها؛ كالصدقة: فيُثاب على ما أخلص فيه، كمن تصدَّق بمئة ريال رياءً، ثم نَدِم فتصدق بمئة أخرى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالأولى باطلة حابطة، والثانية صحيحة.

الثاني: الرياء المشترك:

بأن يكون الباعث له على العبادة إرادة وجه الله، ومراءاة المخلوق، وهذا من أوَّلِ العمل.

والفرق بين هذا النوع والذي قبله، أن ما قبله رياء محض، لا يقصد به إلا الرِّياء، وليس في قلبه شيء لله. أما هذا فمشترك فيه قصدُ الله وقصد المخلوق.

وحكم هذا النوع: أنه باطل مُفسدٌ للعمل على الصحيح؛ لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**». فَأَعَادَهَا

(١) تقدم تخريجه.

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نعرِف عن السلف في هذا خلافا، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين»(٢).

الصورة الثالثة: الرياء الطارئ في أثناء العبادة. ولهذه الصورة نوعان:

النوع الأول: الرياء المحض:

وصورته: أن يبدأ العبادة لله، ثم يطرأ أمر - كدخول أحد عليه - فيحوِّلُ قصد العبادة لهذا المخلوق بالكلية، بحيث تنمحي إرادة الله والثواب من قلبه.

فهذا إن دافع هذا الوارد، وأعرض عنه، فلا يؤثر عليه؛ لأن الله - تعالى - تجاوز عن الأمة ما حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.

وإن استرسل مع هذا الوارد، فله حالان:

الأولى: أن تكون العبادة مما ينبني أولها على آخرها كالصلاة؛ فتبطل.

ومثاله: رجل صلَّى نافلة لله، وبعد تمام ركعة دخل عليه رجُل، فتحولت نيته وطرأ عليه الرِّياء لفلان: فالعمل باطل؛ لأن الصلاة عبادة واحدة مرتبط أولها بآخرها.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٧).

الثانية: أن تكون العبادة مما لا ينبني أولها على آخرها، كمن أعد مئة دينار للصدقة، فأخرج خمسين لوجه الله، ثم رآه بعضُ الناس، فجعل قصدَه رياء الناس ونيل مدحهم، وتصدق بالخمسين الثانية على ذلك.

فالحكم في هذه الحال: أنَّ ما كان لله فهو لله، وما كان لغير الله فهو باطل حابط؛ فالأولى يُثاب عليها، والثانية باطلة يأثم بها.

النوع الثاني: الرياء المشترك:

وصورته: أن يبدأ العبادة لله، ثم يطرأ أمر - كدخول أحد عليه - فيحول قصد العبادة لله ولهذا المخلوق؛ فيكون في قلبه إرادة الثواب والتقرب إلى الله، إضافة إلى مراعاة المخلوق والتزين له بهذا العمل الصالح.

فهذه الصورة محل خلاف بين أهل العلم، ومحل الخلاف هو في العبادة التي يرتبِطُ أوَّلُها بآخرها، أو التي لا يرتبط أجزاؤها بالقدر الذي دخله التشريك.

أما العبادة التي لا يرتبط أولها بآخرها - كالصدقة -، فالقدر الذي لم يدخله الرياء صحيح لا إشكال فيه.

والظاهر أن عمله باطل؛ لقول الله - تعالى - في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1]، وهي - كما سبق - في النوع الثاني من الصورة السابقة.

---

(١) تقدم تخريجه.